اختلاف النمو السكانى

ملخص مقال الدكتور صلاح الدين نامق

لا شك في أن هناك من الظواهر القديمة ما يثبت أن تعداد سكان الكرة الارضية منذ فجر التاريخ كان قليلا جدا بالقياس الى تعدادهم بعد الثورة الصناعية الحديثة. فالامراض والمجاعات والموت المفاجىء والحروب ، كانت جميعها وسائل تدعو الى الاقلال من نمو السكان والحد من زيادتهم . ولكن ما ان عرف الانسان الزراعة وبدأ فى استئناس الحيوان واستخدامه اقتصاديا فى هذه المهنة الجديدة حتى استقر فى بقعة واحدة من الارض وحقق لاول مرة الخطوة الاساسية الضرورية نحو الزيادة فى العدد . كما كان للتطور الطبيعى للحياة الاقتصادية فى اكتشاف بعض أنواع الصناعات اليدوية البسيطة فى مناطق معينة من العالم وتقدم مستوى المعيشة تبعا لذلك أثر فى سرعة نمو السكان فى هذه المناطق بالنسبة لغيرها من المناطق الزراعية المتخلفة .

ولعل أول محاولة احصائية لتعداد سكان العالم كانت سنة ١٦٥٠ حيث قدر تعدادهم بـ٤٦٥ مليون، ونما هذا العدد فبلغ فى سنة ١٧٥٠ ، ٦٦٠ مليون ثم وصل الى ١٠٩٨ سنة ١٨٥٠. ولم تكن هذه الزيادة فى السكان فى الدول المختلفة تسير بمعدل واحد وعلى وتيرة واحدة الا أننا نستطيع القول بأن الزيادة الملحوظة فى ذلك الوقت قد تركزت فى أوربا نتيجة للثورة الصناعية التى كانت لها نتائج اقتصادية واجتماعية بعيدة المدى، دعت بدورها الى احداث زيادة ملحوظة فى السكان لتطور طرق ووسائل الانتاج الزراعى والصناعى وتقدم المواصلات ، كما هبطت معدلات الوفيات نتيجة للتقدم الصحى والطبى . وأخذت معدلات المواليد بدورها هى الاخرى فى الزيادة الى منتصف القرن التاسع عشر فى أغلب دول أوروبا وفى أمريكا الشمالية ولكنها تأثرت بعد ذلك تأثرا طفيفا بتقدم المدنية وانتشار مبدأ تنظيم النسل بين الطبقات ، ذلك المبدأ الذى انتشر بعد ذلك فى كثير من دول العالم الصناعية بدرجة كبيرة حتى ان الحد الذى يفصل بين معدلات المواليد ومعدلات الوفيات بدأ يقل لدرجة خيف معها أن يظل عدد السكان فى هذه الدول على حاله أو ربما أخذ يتناقص .

هذا الطابع العام لاختلاف النمو السكانى فى الدول الزراعية المتقدمة والمتخلفة وتفاوت معدلات النمو فى الدول الصناعية وآثار مبدأ تنظيم النسل

هى التى أوحت الينا بفكرة الدورة السكانية · ونستطيع على ضوء ما عرضناه ان نتبين خمس مراحل للنمو السكانى تنطبق فى بعض جهات العالم بدرجات متفاوتة، وهى (١) مرحلة الثبات النسبى (٢) مرحلة الزيادة السريعة (٣) مرحلة الزيادة البطيئة (٤) مرحلة النمو البطىء الاقرب الى الثبات (٥) مرحلة التناقص · وفيما يلى ملخصا لمظاهر هذه المراحل ·

(١) مرحلة الثبات النسبى : وهى المرحلة البدائية فى النمو السكانى حيث معدلات المواليد والوفيات عالية علو متواصلا يلغى كل منهما أثر الاخر ، وحيث يقرب مستوى المعيشة من المستوى الذى افترضه مالتس فى رسالته المشهورة ، وحيث تنتشر الامراض والاوبئة والمجاعات فترتفع معها معدلات الوفيات تبعـــا لذلك ، غير أن الارتفاع فى معدلات المواليد يلغى أثر ارتفاع معدلات الوفيات فلا يزداد بذلك السكان · والدول التى ينطبق عليها ذلك بوضوح هى الحبشـــة واندونيسيا وايران وبعض جهات الصين ·

(٢)مرحلة الزيادة السريعة : وتتميز هذه المرحلة بارتفاع معدلات المواليد ارتفاعا يقرب من ارتفاعها فى المرحلة السابقة ، الا أن معدلات الوفيات هنا تبـدأ فى التناقص البطىء ، وتحدث الزيادة نتيجة للفرق بين هذين المعدلين كما فى مصر وبورما وسيلان والهند والباكستان · والمظاهر الاقتصادية والسكانية للدول فى هذه المرحلة ـ والتى تسبب هذه الزيادة المتواصلة فى السكان ـ هى وجود حكومات مركزية قوية تخلصت من نير الاستعمار السياسى، ثم التقـــدم البطىء المتواصل فى الوسائل الصحية وفى طرق المواصلات والزيـــادة المستمرة فى الانتاج الزراعى · وستظل هذه الدول فى تلك المرحلة طالما ان السكان يزدادون بسرعة تفوق السرعة أو المعدل الذى تزداد به مصادر الثروة الاقتصادية القومية · ولكن هذه الدول ستنتقل الى المرحلة التالية من التطور السكانى اذا ما أمكنها أن تزيد من سرعة انتاجها الاقتصادى وخاصة فى المجال الصناعى فيرتفع مستوى معيشتها المادى والثقافى ويعبد الطريق أمامها نحو المرحلة التالية ·

(٣) مرحلة الزيادة البطيئة : تتميز هذه المرحلة بالتناقص الملحوظ فى كل من نسب الوفيات والمواليد ، غير ان مستوى معدلات الوفيات يقل عن مســـتوى معدلات المواليد وتحدث لذلك الزيادة الطبيعية فى السكان ، كما فى بولنـده وبلغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا وايطاليا والارجنتين · وتتسم اقتصاديات تلك الدول بشىء من التقدم الملموس بالقياس لمثيلاتها فى دول المرحلة السابقة ، كما ان النواحى الدينية هناك تفسر بروح التسامح والبعد عن التزمت · وهذه كلهـــا أسباب تدعو الى النمو السكانى البطىء ·

(٤) مرحلة النمو البطىء الأقرب الى الثبات : وتنخفض هنا كل من معدلات المواليد والوفيات ، كما هو الحال فى الولايات المتحدة وبريطانيا وبلجيـــكا وأستراليا وغيرها من الدول المتقـدمة اقتصاديا· وحيث تتقدم وسائل الحياة فى

كافة نواحيها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتصبح المشكلة السكانية غير ذات موضوع بالنسبة لهذه الدول لانها مشكلة المستقبل الذى يعمل له كل حساب. فاذا لم يزد السكان فى هذه الدول زيادة طبيعية أو نتيجة للهجرة تبدأ السلطات فى الاهتمام بعلاج هذه الحالة خشية ان تظهر مستقبلا المظاهر الاقتصادية والسياسية الخطيرة التى تصحب قلة عدد السكان عن الحد الانسب .

(٥) مرحلة التناقص : وهى المرحلة الخطيرة التى تقلق بال الامم المتقدمة اليوم . وتتميز بزيادة معدلات الوفيات عن المواليد أو بمعنى آخر تتسم بانعدام الزيادة الطبيعية فى السكان . والمثل التقليدى لذلك هو ما حدث فى بعض الجزر الاستوائية بالنسبة للسكان الوطنيين الذين انقرضوا تبعا لذلك ، ويقال نفس هذا القول بالنسبة للهنود الحمر فى أمريكا . وفى فرنسا ـ وفقا لما هو معروف فى بعض الاوساط العلمية ـ منذ أوائل القرن العشرين حتى سنة ١٩٤٢ كانت معدلات الخصوبة الصافية أقل من الواحد الصحيح ، الا أن الوضع قد تغير بعد ذلك ، ووصلت هذه المعدلات الى ١ر٢٤٤ سنة ١٩٥٣ .

وأخيرا ـ اذا ما تعرضنا لما سوف يكون عليه النمو السكانى فى المستقبل يمكننا أن نتنبأ بزيادات أخرى متوالية متصلة فى السكان ، ولا سيما فى الدول المتخلفة اقتصاديا والتى تكون أكثر من ثلثى سكان العالم . وهى الدول التى ظهر فيها شىء من الهبوط فى معدلات الوفيات نتيجة للتقدم فى النواحى الاقتصادية وطرق الانتاج . وما لم يصحب هذا النقص فى الوفيات نقص فى المواليد بنفس المعدل فلابد أن يتضاعف عدد السكان ، وذلك فى النصف الثانى ، فى هذا القرن. واذا لم تنمو موارد الثروة الاقتصادية نموا مماثلا للنمو السكانى فلابد وأن تزداد المشكلة الاقتصادية حدة فى هذا العالم .